دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	صناعة الغوص في الإمارات العربية في الخليج العربي
المصدر:	الخليج العربي
الناشر:	جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي
المؤلف الرئيسي:	شقيلة، أحمد رمضان
المجلد/العدد:	ع 8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1977
الصفحات:	37 - 54
رقم MD:	78087
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	المياه الإقليمية ، الغوص ، الإمارات العربية المتحدة، اللؤلؤ ، صيد اللؤلؤ ، السواحل ، القبلية ، الموقع الجغرافي ، المناخ ، الطقس ، الموارد البشرية ، القوى العاملة ، الغواصات ، تجارة اللؤلؤ ، الأطفال ، السياسة الاقتصادية ، الأحوال الاقتصادية، النظم المالية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/78087

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة / الجمهورية العراقية

في الخليج العربي

صناعة الغوص في الإمارات العربية

الدكتور احمد رمضان شقيلة
جامعة الفاتح / ليبيا

مقدمة

يأتي اللؤلؤ أو مايسمى بجواهر الأعماق والحرفة(١) المنتجةله ضمنأهم الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية في هذه المنطقة العربية واكتسبت شهرة تاريخية أكدها القرآن (٢) وارتبطت بقدم قيامها واهميتها الاقتصادية وضخامة عدد مراكبها وقواربها والعاملين على ظهرها والمستقبلين لها على البر ودورها في المكانة السياسية لهذا الاقليم العربي .

وقد قيل حول قدمها تواريخ عديدة اقدمها أنها حرفة وانتاج يعودان الى القرن الأربعين قبل الميلاد مستمرة في تطورها وازدهارها فيما عدا بعض النكسات كان أقواها وآخرها التى بدأت منذ بداية الأربعينات السابقة في هذا القرن حتى تكاد تختفي من المسرح الاقتصادي لهذه الامارات (٣) .

ولقد تعرض للكتابة عنها وابرز أهميتها الاقتصادية والتاريخية في هذه الامارات عامة وفي البحرين والكويت ودبى خاصة عشرات الأبحاث والمقالات الجغرافية والتاريخية بل والأدبية العربية منهما والافرنجية ، وما أجدر بنا ان نسلط الأضواء على هذه الحرفة العربية التقليدية في هذه الآيام في تاريخنا المعاصر من حيث مقوماتها الطبيعية وعواملها البشرية وأهم مظاهرها ونقاط القوة والضعف في أوضاعها المعاصرة واقتراحات متواضعة لاعادة تجديد شبابها وتنشيطها .

مقومات وعوامل الغوص :

لقد نشأت هذه الحرفة في البناء الاقتصادى لهذه الامارات منذ آلاف السنين على أساس ماتوفر لها من مقومات طبيعية واسس بشرية تكون في مجموعها المفهوم الجغرافي لهذه الظاهرة الاقتصادية التاريخية ، قامت منها وعليها ولكن بتمايز من مفهوم لآخر ومن عامل لآخر ومن فترة لأخرى بمعنى وجود فترات تدهور في تاريخ هذه الحرفة مرجعها قوة أو ضعف مقوماتها وعواملها .

وقد تبين أن لهذا الانتاج الاقتصادى مقوماته الخاصة به بينما يشارك مظاهر انتاج أخرى عواملها

---

(١) تسمى حرفة الغوص عند سكان الامارات العربية « الفيص أو الغوص » لتعبر عن حرفة التقاط الأصداف والمحارات بجميع مراحلها على البحر .

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
« صدق الله العظيم »
(سورة فاطر الآية ـ١٢ـ)

(٣) تشمل هذه الامارات بالترتيب من الشمال الى الجنوب : الكويت ، البحرين ، قطر ، الامارات العربية المتحده (أبو ظبى ، دبى الشارقة ، أم القوين ، عجمان ثم الفجيرة) ورأس الخيمة (شكل رقم ـ ١ ـ وشكل رقم ـ ٢ ـ)

ومقوماتها كالصيد البحـــرى والتجارة الهامشية البحرية الأخرى ، وفيما يلى بحث لمقوماتها الطبيعية ثم لعواملها البشرية بالترتيب :ـ

أولا : المقومـــات الطبيعيـــة للغيص :

في بحث أى مظهر انتاجى في الآقطار السائرة في طريق النمو تتصدر المقومات الطبيعية البحث لمـا لها من أهمية وحتمية على أى مظهر انتاجى تشارك فيه ، متفوقة على دور مكملتها العوامل البشرية والذى يحدث العكس في البلاد النامية والمتطورة ، وفيما يلى المقومات الطبيعية لهذه الحرفة :ـ

أ ـ المغاصـــات(٤)

يقصد بها مناطق الخليج التى تتجمع فيها المحارات ذات عروق اللؤلؤ والواقعة ضمن الشق العربي من هذه البحيرة العربية الاسلامية ، ويتراوح بعدها من الشواطىء (اليابسة) ما بين ٤٠ ـ ٤٨ كم بل يقال أنه كثيرا ما كانت توجـد المحارات قرب خطوط الشواطىء ، ومن مفهوم أبعاد هذه المغاصات يصبح رصيف اللؤلؤ ضمن موقع الرصيف القارى لشرق شبه الجزيرة العربية (شكل رقم ـ ٣ ـ) وخارج حدود المياه الاقليمية لهذه الامارات وقـد جائت الاتفاقيات والمعاهدات المعقودة بين امارات الخليج مـن جهة والسعودية والعراق وايران ثم بريطانيا من جهه أخرى لتوسع من مياهها الاقليمية ويصبح من التعارف عليه تقسيم هذا الرصيف بين هذه الكيانات السياسية بأن لكل منها الجزء المقابل لها ، وقد انعكست هذه الاتفاقيات فيما بعد عـلى استغلال مصائـد النفط والغـاز اللامفيبيـــه Lamefebia وقد تبت أن هدا الرصيف يمتد من أمام سواحل الكويت شمالا وحتى سواحل دبـى جنوبـــا مارا مـــن أمام البحريـــن وقطـــر (الشكل رقم ـ٣ـ) كما وجد تمايز في مناطق هذا الرصيف من حيث كمية المحارات والآصداف ونوعية لآلئها ويقع على رأسها جميعا الجزء الواقع منه أمام مياه البحرين والذى يمتد من أمام مياه رأس تنوره حتى الحدود الاقليمية لمياه دولة قطر ويطلق عليه اسم « بحـــر العـــذارى » Sea of Maidans كذلك الضفاف الواقعة في خليج أبو ظبى (وهـو جزء من الخليج العربي) ضمن مياه امارتى أبو ظبى ودبى . ويطلق على مغاصات هـذا الرصيف أسماء محلية عن أصل لآحد الفواصين أو الـى حادثة بحرية أو نجم سماوى . وقد بات من المؤكد عبر مئات السنين أن مغاصات هذه الامارات تأتى عـلى رأس جميع مغاصـات العالم الطبيعية (١) شهرة وانتاجا مثل مغاصات شرق أستراليا وخليج المكسيك وجزر البهامان وسيلان (سيريلانكا) وهى جميعا مسطحـات مائية دافئة مالحة ، ومياـــه مغاصاتنا العربية هذه ضمن مياه الخليج العربـى الذى يمتد فيما بين دائرتي عرض ٥ً ـ ٢٤ً و ١٠ً ـ ٣٠ً شمالا والمحصورة بين نطاق الصحارى الحارة وبالتالى دفء مياهه طول أشهر السنة سواء على السطح أوالأعماق بالاضافة الى هدوء مياهه وخلوها من التيارات البحرية القوية بل وخلوها من الأمواج العنيفة (هذا اذا استثنينا موجات ظاهرة المد والجزر النشطة هنـــا (٦) ثم ضحالة هذه المياه بحيث وجد أن عمق مواقع معظم النهيرات المستغلة يتراوح ما بين ١٠ ـ ٢٧م واذا زاد عمقها على ذلك فقد أكد الغواصون بأدوات غوصهم التقليدية القديمة عـدم استطاعتهـم الغـوص اليها لزيادة كمية الضغط الخارجى على أجسامهم النحيلة ودفء المياه ثـم امكانية وجود اسماك القرش التى توجد في الميـاه العميقة وكذلك قنديل البحر . وتتوفر في هذه المياه الزرقة والخضرة الصافية كالزجاج تشاهـــد محتويات قاعها كالشعاب المرجانيـــة والمحارات والرمـــال بالعين المجـــردة .

وقد أكد عدد كبير من الغواصين البحرانيين أن كثيرا من الأصداف والمحارات تظهر مباشرة على سطح المياه بينما أغلبها يبقى في القاع فالأولى يسهل التقاطها من على السطح بينما النوع الثانى لابد من الغوص لها ضمن مفهوم هذه الحرفة . .

أما عن كيفية استغلال « هيرات » هذا الرصيف فقد أصبح من المتعارف عليه تعارف العرب لتقاليدهم بأن لكل امارة ضفافها منه مخصص لغواصيها .

منذ عشرات السنين وهم في هـذا يطبقون النظام القبلى الذى يطبقونه على يابس اماراتهم ، بمعنى انه يندر حدوث ظواهر الاعتداءات في المغاصات

---

(٤) تسمى بالدارجـة عند سكان الامارات « الهـــيرات » وتعنى مناطق قاع الخليج التي تتواجـــد فيها مواقع الأصـــداف والمحـــارات ذات اللؤلؤ .

(٥) يقصد بالطبيعية تلك المغاصات التى تنشأ من الطبيعة حيث تتوفر لها متطلباتها طبيعيا دون تدخل الانسان فيها ، أى أنها على عكس مايسمى بمزارع اللؤلؤ اليابانية والأمريكية والصينية والاسترالية ، وتتفوق لآلىء النوع الأول عـلى النوع الثانى مـن حيث بريقها (اللون) واستكمال تكورها ونقائها بينما الثانية تنافس الأولى في انخفاض سعر بيعها (نحو ١ / ٣) وجودة تصنيعها في المصاغ وادوات الزينة .

(٦) تسمى محليـــا بظاهرة الشـــبر والســـقى .

بين رعاياها يشذ عن هذا الاتفاق العام عقد اتفاقيات أخوة وحسن جوار بين اكثر من امارة يتم بموجبها العمل بحرية تامة في مغاصاتها من جميع غواص هذه الامارات وتشيد هنا بما كان متعارفا بين امارتى الكويت والبحرين ثم المملكة السعودية والبحرين حتى ليخيل أن الحرية متوفرة للغواص بالعمل في المغاصات التى يريدها ، وبعكس ذلك أخوة العلاقات السياسية والاقتصادية بين سكان وحكومات هذه الامارات ، وقد جاءت امارات البحرين والكويت ودبى وغواصيها على رأس هذه الامارات في قدم وحسن استغلال مغاصتها وتصنيع لآليئها وتسويقها .

وعن تكوين حبات اللؤلؤ في المحارة يتساءل الانسان كثيرا وعليه فقد اختلفت الاجابات المعلله لتكوينها أهمها وأقربها الى التعليل العملى اثنان :ـ

الأول : القائل بأنهفي مواقع المحارات والأصداف

في قاع الخليج يحدث أنها تفتح فلقتى محادتها بقصد التقاط غذائها من على القاع أو مما هو عالق في المياه من حشائش فسرعان ما تدخلها حبة رمل أو أكثر أو قطرة ماء عذبة من مياه الينابيع الارتوازية (٧) أو بيضة سمكة أو اى مادة غريبة على جسمها ، وبحكم غريزة الدفاع عن النفس تهيج أغشية المحارة لتحمى نفسها من القادم الغريب وتبدأ المحارة في افراز ماسلحتها به الطبيعة من مواد لامعة لؤلؤية (عرق اللؤلؤ) تجاه ذلك الجسم الغريب لتحاصره ، ويتم الافراز على فترات متقطعة ومن هنا تبدأ نواة اللؤلؤة في التكوين وهى اما أن تكبر باستمرار الافراز أو تبقى صغيرة وذلك حسب مجيء يد الغواص لالتقاط المحارة ، ولا شك أن كبرها هو الذى يعطى لها سوقا وشهرة .

الثانى : القائل بأن محارات وأصداف اللؤلؤ تخرج من القاع الى السطح أثناء محاولاتها لألتقاط غذائها واذا ما حدث وخرجت الى السطح في أوقات المطر وعليه يسهل على قطراته دخول المحارات كأجسام غريبة والتى على أثرها تبدأ معركة الدفاع من المحارة ضد القادم الغريب بافراز عرق اللؤلؤ وتكوره حول نقطة الماء .

وقد ثبت للغواصين أن حبة اللؤلؤ كى يصبح أخذها اقتصاديا لابد أن يستمر الافراز سنة فما فوق ، وكثيرا ما يدخل المحارة أكثر من نقطة ماء يؤكد وجود أكثر من حبة لؤلؤ فيها ويحدث أن تلتصق حبتان مع بعضهما وكلما تشابه حجمهاكلما زادت قيمتها .

ب ـ الموقع الجغرافي

لاشك أن للموقع الجغرافي لهذه الامارات ومياه خليجها أهمية كبيرة في هذه الحرفة جعله سند لها ، اذن أن لموقع الامارات العربية والجانب الغربى للخليج العربى شهرة خاصة ودور كبير في وجود وتطوير هذه الحرفة البرية ويفسر لهذا الدور بالموقع المدارى المسبب لدفء مياهه طول العام وسهولة نقل حاجات ومنتجات هذه الحرفة على ظهر المراكب التجارية من والى الهند وأوروبا والشرق الأقصى والأقطار العربية المجاورة وايران (الشكل رقم ـ٤ـ)

كما أن طبيعة خطوط أعماق مياه الخليج من الناحية العربية والمتصفة بسهولتها وضحولة أعماقها وخلوها من الجروف البحرية والتيارات المائية القوية قد تساعد على قرب مواقع مغاصات رصيف اللؤلؤ وسهولة التعامل معه واستغلال محاولاته وأصدافه بالأدوات والوسائل البسيطة .

جـ ـ المناخ والطقس

ونقصد بهما هنا كمقومين طبيعيين لهذه الحرفة حين نجد أن معدل درجة حرارة أى شهر هنا لاتقل عن ١٧ م° على اليابس وهى بالتالى أعلى على مياه الخليج منها على اليابس بينما تصل في أشهر نصف السنة الصيفى نحو ٣٤ م° أى أن عنصر الحرارة وهو أهم عناصر المناخ والطقس هنا

---

(٧) تكثر في قاع مياه الخليج العربى من الناحية الغربية ظاهرة عشرات الينابيع العذبة ذات قوة دفع متمايزة فبعضها يخرج الى ما فوق سطح مياه الخليج وبعضها يصب خلالها وتسمى هذه العيون محليا « الكواكب أو الجواجب » ، وتعلل كظاهرة هيدرولوجية غريبة بوجود شروخ رأسية في الطبقات الجيولوجية السطحية والواقعة الى أعلى الطبقات الأيوسينية (عصر الأيوسين) والتى تعتبر مصدر جميع الطبقات الحاملة للمياه العذبة وعلى أساس وجود تلك الشروخ تندفع المياه الى أعلى عبر تلك الشروخ على شكل ينابيع عذبة تستغل على اليابس للشرب والاستعمالات الاخرى وفي قاع الخليج من قبل الصيادين والغواصين ، وهناك تعليل آخر لوجود تلك الينابيع بأن مناطقها في قاع الخليج تمثل خط النهاية الشرقية للطبقات الجيولوجية الحاملة للمياه والتى تبدأ من غرب ومنتصف شبه الجزيرة لتنحدر شرقا حسب حوضها الترسيبى نحو الخليج حاملة معها وبدفع ظاهرة التسرب والجاذبية ما يتسرب اليها مياه أمطار جبال طويق في صحراء الدهناء وهضبة الصمان وقرب جبال الطائف ثم أمطار هضبة نجد ، أما الرأى الجازم لمصدر تلك العيون فلم يجمع عليه حتى الآن .

مقوم ايجابى في هـذه الحرفة وللعاملين فيها وما تتطلبه المحارات والأصداف من حرارة ، هـذا بالاضافة الى استقرار واعتدال سرعة الرياح الدائمة في هذه المنطقة من الخليج اذ لايتعدى معدل أقوى الرياح وذلك في شهر ديسمبر من ٩٦ كم بينما يصل معدل سرعتها في الصيف ٢٠ كم وبالتالى ملاءمة سطح مياهه للملاحة الهامشية والصيد عبر مواقع رصيف المفاصات العربية ، كذلك يتصف هـذا الاقليم بخلوه من ظاهرة الضباب وصفاء سمائها من السحب الا من بعض أيام أشهر الشتاء اذ تصل نسبة غطاء السحب لسمائه ما بين ٢ر٢ ـ ١ر٣ ٪ وبالتالى ضمان عدم وجود حوادث أو احتكاك بين قوارب ومراكب الغواصين أو أى مضايقات لهم .

ويرتبط بهذا المقوم الطبيعى سيادة المناخ الصحراوى المدارى في جميع أراضى الامارات حتى أصبحت بيئة طاردة لسكانها نحو البيئة البحرية المجاورة والأكثر غنى وضماناً في انتاجها المتعدد ومنه اللألى فخرج الى المياه البحرية قسم كبير من سكان الامارات على ظهور مراكبهم ليصطادوا ويغوصوا ويقطعوا الصخور ويتاجروا ... الخ .

ثانيا : العوامل البشرية

يأتى هذا النوع من المشجعات والأسس في الدرجة الثانية بعد المقومات الطبيعية لهذه الحرفة وفي هذا الاقليم العربي السائر في طريق النمو حيث تشكل المقومات مغناطيسيا لأفكار وطموح وعضلات انسان هذه الامارات ليسارع الى استغلالها منذ عشرات السنين بكل ما لديه من امكانيات جسمانية أو من صنع يده بينما لم يستطعه فقد وفره لها من خارج أقليمه عربيا أو أجنبيا . واهم هذه العوامل .

أ ـ الأيدى العاملة

وتتمثل هنا في طموح وافكار الانسان العربى والتى يترجمها الى سواعد وعضلات قوية تصنع أدوات الغوص من المركب وحتى سكين « الفليق » وتركب مئات قوارب الغوص وتغوص في عشرات الهيرات وتجمع آلاف المحارات والأصداف وفلقها والحصول على آلاف اللألى والعودة بها الى سواحل اماراتهم وتصنيعها وتهيئتها للمصاغ والتصدير .... الخ .

وكان لوفرة أرباح هذه الحرفه وشهرتها ان جذبت اليها مئات الرجال والشباب بل والأطفال للعمل في مختلف مراحل الغوص التى تعددت حتى أصبحت سبع وظائف نظرا لصعوبة هذه الحرفة ودقة مراحل العمل فيها والتى خلقت نظاما للتدرج والترقى فيها والخبرة المضمونة للعاملين في كل مرحلة .

وقد اكتسبت عشرات العائلات العربية في هذه الامارات شهرة تاريخية في الغوص وتجهيز اللؤلؤ أو في صناعة أدوات الغوص تذكرنا بعائلات الصناعة التقليدية الدقيقة في خان الخليلى بالقاهرة وسوق الحميدية بدمشق والسوق المحلى بطرابلس ، وقد مر العاملون في الغوص بتاريخ ذى أحداث أسطورية حفظ لهم الاحترام والتقدير بين مواطنيهم في مختلف سنوات ازدهارها وكساد هذا النشاط الانتاجى الهام ، بل كانت مواسم عملهم أكبر مواسم السنة الاقتصادية أهمية وحفاوة لمعظم سكان الامارات لتوديعهم واستقبالهم يرددون الاهازيج والأغانى الشعبية ، واستمر هذا الى ماقبل اكتشاف واستغلال النفط في بلادهم بقليل حين ظهر كمنافس ما بعده منافس للغوص والحرف الأخرى والعاملين فيها والذى استوعب بأعماله المختلفة معظم الأيدى العاملة في حرف الامارات التقليدية حتى أنه بات من الصعب على أصحاب هذه الحرفة العثور على حاجاتهم من ذوى الخبرة فيها منذ استغلال النفط .

أما عن أعمال هذه الحرفة (مراحلها) والقاب العاملين فيها فهى كما يلى (٨) :ـ

الربان القبطان

يسمى محليا « النوخذا » وهى تسمية فارسية الأصل ، وهو رئيس مركب الغوص ، يراقب ويأمر جميع من يعمل عليها ، ووظيفه هذه تذكرنا بالتقليد المتعارف عليه في الأعمال البحرية المؤكدة لمكانة الربان فيها . ويختار النوخذه ممن عملوا مدة طويلة في الغوص وصيد الأسماك واتصفوا بحسن الخلق والهدوء ومراقبة تنفيذ أوامره .

الغواص

يأتى في أهميته وخبرته بعد الربان ، عمله محدد بالغوص تحت المياه لجمع المحارات والأصداف ويعتبر عمله هو الهدف الأساسى لهذا الانتاج البحرى بل أن عمله أصعب مراحل هذه الحرفة والمتمثل في عدد مرات غوصه يوميا والتى تتراوح

(٨) من المناقشات مع كبار العاملين أو من كانوا يعملون في الغوص .

ما بين ٨٠ـ٩٠ تبه (٩) (ويمارسها بالتناوب مع زملائه الغواصين على ظهر المركب (الصورة رقم ـ١ـ) ويتم تنظيمها باشراف الربان حسب درجة الحرارة على سطح المركب وفي مياه المغاصة فكلما انخفضت كلما طالت فترات الراحة والعكس صحيح ، ويختلف عددهم من مركبة لأخرى حسب مساحة سطحها ورغبة الربان ، ويتصف الغواص بصلابة جسمه وتحمله وتعوده على ضغط المياه في أعماق المغاصات وانه ذو خبرة في تفادي الأسماك المتوحشة والتعرف على أماكن المحارات والأنواع الجيدة منها كما أنه أكثر العاملين تعرضا للخطر ، ولابد من حلق شعر رأسه لتفادي مضايقته له كذلك يكون حافي القدمين ، أما كيف يتم غوصه وسحبه من الماء فهو ينزل في أول مرحلة على حبل خاص به يضع رجله على عقده فيه وفي أسفله ثقل يساعده على سرعة الغوص ، وعند سحبه لابد من شدة ملاحظة السيب « الساحب » لحركة حبل الغواص والذي يجذبه حين يضيق نفسه طالبا سحبه الى أعلى تاركا الثقل ليسحب في حبل آخر أما السلة التي تنزل معه ليضع فيها المحار فاما أن يربطها في رقبته ليغوص بها ويخرجها معه (الصورة رقم ـ٢ـ)

واما أن تربط في حبل الثقل لتسحب مع الثقل تخفيفا في نقل الغواص .

السيب :

وتسميته هذه اعجمية ويسمى بالعربية (الساحب) يتحدد عمله الرئيسي في انزال وسحب غواص واحد يشتهر بقوة عضلاته وخبرته في قوة ملاحظة حركات حبل الغواص ومدة التبه لهذا فهو في الدرجة الثالثة في الأهمية بين العاملين على ظهر مركب الغوص ، وهناك أعمال ثانوية يقوم بها السيب كاستخراج اللؤلؤ من المحار (الفليق) واعداد الطعام وتلقف سلة الغواص .

الرضيف

وهم من الصبيه الذين لا تزيد أعمارهم عن ١٤ سنة ، يقومون بالخدمات الخفيفة كالفليق والتنظيف ثم مراقبة مراحل الغوص لأنهم يتدربون على أعمال الغوص الراقية كالغوص والسحب ، ويتكون اغلبهم من ابناء الغواصين على ظهر المركب أو أبناء تجار اللؤلؤ .

الأطفال

وهم من الأطفال الذين يتراوح أعمارهم ما بين ٧ـ١٠ سنوات يبلغ عددهم على المركبة الواحدة نحوة خمسة أطفال وهم أيضا من أبناء العاملين على المركبة أو من أقاربهم ، يقومون بالخدمات الخفيفة للغواصين والسيب وقد كانت بعض القبائل العربية في الامارات العربية كالدواسر والجلاهمه تخصص لهؤلاء مراكب لتدريبهم على أعمال مراحل هذه الحرفة .

الطواويش

وهم تجار اللؤلؤ أو الموفدون عنهم لشراء حصيلة مراكب الغوص من الآلى يأتون اليهم على ظهور قواربهم الخاصه ، وينظم مقدمهم واتصالهم بمراكب الغوص تقليد متعارف عليه بحيث لا يتجمعون على مركبة واحدة ولكى لا يصتدموا مع بعضهم وعدم حدوث المنافسه والمزاحمة ثم لا يتصلوا بمراكب الغوص الا بعد الوقت التقريبى لانتهاء أعمال « الفليق » والتى تنتهى عادة في الصباح المبكر من كل يوم .

ويرجع أصل جميع الطواويش من أبناء الامارات العربية وشرق السعودية .

آخرون :

ويقصد بهم باقى سكان الامارات الذين ينتفعون بهذه الحرفة مباشرة أو غير مباشرة وعلى رأسهم شيوخ وأمراء هذا الاقليم الذين يخططون وينظمون أعمال الغوص وبيع لآلئها وحل مشاكلها ويخرجون على رأس المودعين والمستقبلين لمراكب الغوص ، كما يقع في مفهوم هؤلاء تجار المصاغ واللؤلؤ والمصنعين للأصداف .....

ولن نبالغ حين نؤكد أن هذه الفئة هى المستأسدة بأرباح هذه الحرفة .

أما من حيث اجمالى عدد العاملين في الغوص فقد وصل الى نحو ٤٥ الف رجل وشاب وطفل من جميع الامارات يعملون في جميع المراحل والأعمال، وقد كان هذا العدد في مواسم الغيص المزدهر أى فيما قبل بداية الأربعينات السابقة ، أما بعدها فقد أخذ عددهم ومراكبهم ونشاطهم يقل ويكسد للأسباب ستجىء في الخاتمة حتى أصبح عددهم

---

(٩) تسمى محليا « التبه والتى يقدر وقتها هنا ما بين ٥ـ١٠ دقائق بينما يقدر لها آخرون ما بين ٤٠ـ٧٥ ثانية بدون تنفس تحت الماء وعلى عمق يتراوح ما بين ١٠ـ٢٧ مترا حسب عمق المغاصة وتتراوح مدة التبه عند غواصي مياه جمهورية سيرى لانكا (سيلان) ما بين ٦٠ ـ ١٠٩ ثانية يقضى الغواص هذه المدة في قلق وضيق على حياته خوفا من الاختناق أو الاسماك المتوحشة ومن ضيق الملابس التى يلبسها والحبال التى يلفها حول جسمه .

ومراكبهم بعد الستينات لايتعدى العشرات . وحينما نذكر هذا العدد الكبير نذكر ما كانت تساهم به امارتا الكويت والبحرين من اعداد كبيرة تفوق النصف الاجمالى للعاملين في الغوص . نظرا لتوفر العدد السكانى ولغنى المغاصات أمام يابسها واهتمام حكومتهيما بهذه الحرفة والعاملين فيها .

أما عن مصير ذلك العدد الضخم نسبيا من عمال الغوص بعد كساد وضعف حرفتهم فقد تأكد ضمان العمل لجميع من ترك الغوص ليعمل في الأعمال البحرية الأخرى وأعمال النفط والزراعة والتجارة وصناعة المراكب ، اى انهم لم يواجهوا خطر البطالة بل العكس هو صحيح اذ أصبح من المتعسر على أصحاب مراكب الغوص الحالية الحصول على العدد الكافى على مراكبهم .

بل أنه من الصعب توفير هؤلاء اذا مافكر في تجديد شباب هذه الحرفة ضمن الخطط الانمائية لهذه الامارات ولا بد من الاستعانة بأدوات وآلات الغوص الحديثة ، ذلك لأن عمال الغوص وجدوا في أعمالهم وحرفهم الجديدة اكثر طمأنينه وربحا وتقديرا .

ب ـ صناعة أدوات الغـــوص

ويقصد بها قيام صناعة جميع ما تحتاجه مراحل هذه الحرفة والعاملين فيها من أدوات جميعها يدوية في صناعتها وتقليدية في استعمالها تصنع بخامات محلية ومستوردة في ورش تقام لها في مراكز العمران والصيد البحرى ، يعمل فيها أفراد من عائلات متخصصه في صناعة هذه الأدوات عبر عشرات السنين توارثوها عن أسلافهم حتى برعوا فيها واكتسبوا شهرة صناعتهم بين أقطار الخليج الأخرى . وقد اتصفت جميع أدواتها بالبدائية في تصنيعها واستعمالها والتى تعكس ثقافة صناعتها ومستعمليها وقد استمر العمل في صناعتها والتعامل معها حتى يومنا هذا وقد ساعد على ذلك سن التشاريع الحكومية بعدم استعمال أجهزة الغوص الحديثة (المستوردة) حفاظا منها على تنظيم استغلال هذه الثروة البحرية البطيئة النمو وذات الاحتياطي المربوط تواجده بالاستقلال البطىء ، ثم لاتاحة فرصة العمل في الغوص للجميع لا للقادرين على شراء أدوات الغوص الحديثة فقط وحينما نذكر هذا العمل البشرى الهام نذكر ورش وصناع دولتى البحرين والكويت بما اشتهرت به من جودة في انتاجها وتوفير حاجات غواصيها وايجاد فائض لتصديره الى الامارات الأخرى وشرق السعودية وتعلل هذه الشهرة بغنى مغاصتها ونشاط العاملين فيها ومساندة حكومتيهما لهذه الحرفة وما يتصل بها من أعمـــال .

واهم أدوات الغوص هـــى :

الفطـــام

وهو الماسك لفتحتى أنف الغواص لمنع دخول المياه اليها خلال الغوص تحت المياه وحتى أول خروجه على السطح من الجلد والعظام أو من هيكل السلحفاة (الصورة رقم ـ ٢) .

الســـلة

يحملها الغواص ليجمع فيها المحارات من تحت الماء ، تصنع من أسلاك معدنية وخيطان الكتان (الصورة رقم ـ ٣ ـ) ، ويضعها الغواص حول رقبته لضمان عدم افلاتها منه أو أن تربط بحبل مع الغواص ثم تسحب بعد سحب الغواص وذلك لتخفيف الثقل والمسؤولية عنه .

السكـــين :

مصنوعة محليا في ورش الحدادة من الحديد المستورد من الهند وأخيرا من بريطانيا بينما تصنع مقابضها من الخشب المحلى ويحمل الغواص معه أكثر من سكين خوفا من تعطيل أعماله حدها مسنن ومنحنى لملاءمته لاقتلاع المحار وفلقها (فتحها) .

الثـــوب :

يصنع من الجلد المدبوغ الرقيق أو قماش القطن السميك نوعا لحماية جسم الغواص من احتكاك القناديل والصخور والأسماك الأخرى والشعاب المرجانية ويغطى الثوب جميع أجزاء الجسم فيما عدا الكتفين وجوارح الوجه ويكون مشدودا الى الجسم (الصورة رقم ـ ١ ـ) .

غطـــاء اليـــد :

وهو مصنوع من الجلد القوى المدبوغ محليا يلبسه الغواص في كلتا يديه أثناء التقاطه للمحارات التى تخشى اصطدامها بالأعشاب البرية والحصى وغطاء المحارات كما يستعمله جميع من على المركب فترة « الفليق » لتحاشى تجريح الأيادى .

مراكـــب وقـــوارب الغوص :

مصنوعة من الأخشاب والخامات المستوردة بأيدى عربية في ورشها التقليدية يتوارث العاملون

من ينافسهم فيها حتى هذا اليوم (الصورة رقم ـ ٤ ـ) وتنتشر ورش صناعتها في جميع مراكز العمران الساحلية وتخص منها المنامه والمحرق في دولة البحرين ومدن الكويت والجهرة والفحيحيل في دولة الكويت وام سعيد والدوحة في قطر ودبى والشارقة ثم ابو ظبى في الامارات المتحدة وتنتج هذه الحرفة انواع المراكب التالية :

السمبوك وهو اقدم الأنواع التى خصصت للغوص ثم تلاه الجالبوت والهورى والبلم واليانوش وجميعها أسماء أعجمية وشراعية الحركة (الصورة رقم ـ ٥ ـ) مع امكانية تركيب المحركات الآلية على جميعها واستعمالها الآن في أعمال صيد البحر والنقل والتجارة الهامشية وفي حالة استخدامها في أعمال الغوص تزود هذه المراكب بمجاديف جانبية خاصة بحيث تظهر فوق سطح الماء لعدم تعكير أعمال الغواص ، وتخص ملكية هذه القوارب الربان أو لتجار اللؤلؤ .

جـ ـ الأسواق :

تقع الأسواق على رأس العوامل البشرية للغوص لما يفرضه انتاجه من نوعية خاصة من الأسواق يتعامل معها حيث الدخل المرتفع والأيدى الشرائية الفنية ذات الرغبة في اقتناء اللآلى حصيلة هذه الحرفة الشاقة والخطيرة ، وعليه فقد حددت أسواقها باماكن اقامة مهراجات الهند ومشايخ الامارات العربية وملوك وأمراء وأغنياء أوروبا الغربية وامريكا والشرق الأقصى بالاضافة الى مايسمى بأسواق محطات التجميع والتصنيع وتهيئتها لأسواق الاستهلاك السابقة الذكر والتى اهمها مدن البصرة والكويت والمنامه وبومبي وكراتشي وغيرها (الشكل رقم ـ ٣ ـ) وفي هذه المدن كان تجمع اللآلى من الامارات ومنها تتوزع مصنعة ومرصعة في المجوهرات والمصابغ الى أسواق القادرين على دفع الألوف من الدنانير .

وقد ساعد على ايجاد هذه الأسواق سهولة نقل اللآلى اليها منذ القدم وحتى الآن سواء على ظهور حيوانات القوافل أو ضمن جولة المراكب التجارية واخيرا في الطائرات والسفن والسيارات.

وقد قامت وسائل النقل البحرى بدور الأسد في نقل اللؤلؤ الى أسواقها نظرا للطبيعة البحرية لهذه الامارات وتوفر موانئها ومكانتها التجارية عبر نشوء كياناتها السياسية ، أما بالنسبة لأسواق الامارات المحلية عامة وأسواق دبى والبحرين والكويت فقد كان لها الدور الأول في هذا العامل لحرفة الغوص وذلك لأنها مراكز تجميع حصيلة الغوص من اللآلى وقيامها بفرزها (تصنيفها حسب حجمها) بواسطة أدوات مخصصة (الصورة رقم ـ ٦ ـ) ثم وزنها بوحدة محلية تسمى « الجو » (١٠) .

وفي العشرينات بدأت تدخل وحدة «الجرام» في عمليات الوزن في أسواق هذه الامارات .

ونظرا لتمايز حجم حبات اللؤلؤ والوانها وتكورها فقد اختلفت أسعار وحدات وزنها ويتم البيع في هذه الأسواق حسب تقاليد وعادات عربية متوارثة من أهمها توارث ظاهرة السماسرة والشهود على اتمام عمليات البيع بين « النوخذه » والطواويش أو تجار اللؤلؤ .

أما عن كيفية عرضها في الأسواق للبيع بالجملة فيتم بوضعها في قطع من القماش الأحمر أو المخمل (القطيفة) وأحيانا في قماش أخضر اللون أو بنفسجي .

ويدخل ضمن مفهوم هذا العامل «الأسواق» توضيح الدور الاقتصادى لهذه الحرفة اى جميع ما كانت تساهم به مبيعات لآلئها في الدخل القومى لهذه الامارات الصحراوية التى كان اجمالى دخلها أو كل امارة على حدة من الضآلة جعل ما تدخله حرفة الغوص يأتى على رأس جميع مصادر الدخل الأخرى .

فمثلا كان اللؤلؤ يمثل ٤ / ٣ دخل امارة البحرين وهى من أنشط وأغنى الامارات في حرفة الغوص وكذلك كانت الكويت حتى مجيء فترة استغلال لنفطها فغطت على دور اللؤلؤ وغيره وأصبح ذلك الدور في تعداد الذكريات الاقتصادية الخيرة في تاريخ هذه الامارات .

د ـ سياسة حكومة الامارات اتجاه حرفة الغوص

يأتي هذا العامل في موقع الدينمو (المحرك) Denemo لاستغلال جميع المقومات والعوامل لهذه الحرفة وغيرها من مظاهر الانتاج اى انه حجر الأساس ونقطة البدء في هذه الحرفة فعلى سياسة ودور حكومة الامارة تتوقف نوعية ودرجة استغلال الامكانيات الطبيعية والبشرية المتوفرة محليا أو

---

(١٠) وحدة وزن عراقية الأصل تسمى « الجو البصراوى » ولا تزال تستخدم في وزن وشراء اللؤلؤ والأحجار الكريمة في الأسواق المحلية للامارات .

أمكانية استيرادها . ويتمثل هذا العامل في سياسة هذه الحكومات جهدها لتدعم هـذه الحرفة مما يؤدى الى ازدهارها وتطورها نظرا لـهذا الدعم والمساندة ، أو أن الذى يحدث العكس مـن هـذه الحكومات أو بعضها بوقفها حائلا أمام قيام هـذه الحرفة أو امام بعض مقوماتها وعواملها المحلية أو المستوردة وبالتالى اعاقة تطور هـذه الحرفة بل وجمودها أو تعرضهـا لنكسات تضعفها ودورها الاقتصادى .

والـذى حـدث لحرفة الغوص حتى أوائل الأربعينات أنها كانت تنعم بدعم وتأييد جميـع حكومات الامارات العربية بما لديها من امكانيات وعلى مستوى استغلال وتطوير مقوماتها الطبيعية وعواملها البشرية أدت الى ازدهارها حتى غطت بشهرتها ودورها الاقتصادى على جميع الأنشطة الاقتصاديـة الأخـرى بل وآثرت في الأوضاع السياسية للامارات كتعرضها للاطماع الاستعمارية والسيطرة عليها من قبل الفرس والبرتغاليين ومن بعدهم البريطانيين حتى نهاية ١٩٧١م .

وتمثل دورها الايجابى المحمود في سـنين القوانين والتشريعات المتطورة لحماية الغـوص والعاملين فيه وصيانة المغاصات كثروة متجددة ثم تسويق منتجاتها بقصد الحفاظ عليها وسمعتها العالمية وأهمها تحديد مواعيد بدء وانتهاء مواسم الغوص وتحديد المسئوليات والقضاء عـلى نظام الالتزام وانشاء محاكم الغوص لتنفيذ تلك القوانين كما منعت استخدام آلات وأدوات الغوص الحديثة ووفرت للغـواصين قوارب الاسعافات وزوارق الشرطة .. الخ .

وبعد ذلك التاريخ التقريبي فقد اتجهت تلك الحكومات باهتمامها وتأييدها الى استغلال نفطها وأعماله المتعددة وكان ذلك على حساب اهتمامها بحرفة الغوص أدى ذلـك الاهمال الى افول نجم الغوص وبالتدريج من على المسارح الاقتصاديـة لتلك الامارات .

وكان ايقاف العمل بجميع الاجراءات المشجعة بل وسماحها لعوامل مضادة دخول المسـرح الاقتصادى كاستيراد المجوهرات ومصاغ البلاتين والذهب والفضة وأدوات الزينة المنافسة وهجرة أيديها العاملة الى أعمال وحرف جديدة تتوفر فيها الطمأنينه والربح الوفير .

وعليه فلو أريد اعادة تنشيط هذه الحرفة فلا بد من ضمان دعم الحكومات لها في هذه المنطقة العربية والـذى سينعكس على تقويم المقومات والعوامل الأخرى ، وسيجيء توضيح ذلـك في الخاتمـة .

أهـم مظاهـر حرفـة الغوص

بعد بحث مقومات وعوامل الغيص في هـذا الاقليم العربى وجد أن جميعها محلية (عربيـة) الأصل فيما عدا قسم من الأسواق وقليل مـن خامات أدوات الغوص وتصنيع اللؤلؤ وعلى أساس توفر هذه المقومات والعوامل قامت هذه الحرفة الانتاجية الهامة منذ نحو خمسة آلاف سنة على يد عرب هذا الاقليم (البابليين والفينيقيين) تخللها مراحل نكسات بسبب تخلخل في مفهوم أو عامل أو أكثر ، كذلك مرت أدوات الغـوص وأساليبه بمظاهر تطور حضارى كان اخرها ما جاء في بحث أدوات الغوص وفي المظاهر العامة التاليـة :

يبدأ الاستعداد لموسم الغوص الكبير (١١) (الصيفي) بشهر قبل موعـده والـذى يحدده الشيوخ (حكام) الامارات في شهر يونيو (حزيران) تقريبا والـذى يستمر اربعه شهور أى أن شهر أكتوبر (تشرين الأول) يحدد كنهاية لهذا الموسم .

وتتمثل عمليات الاستعداد في اصلاح القوارب ودهنها (تزويقها) وشراء واعداد أدوات الغوص والأطعمة وهى من التمور واللحوم المجففة والسمن والأرز والتوابل والسكر والسـجاير ثم الشاى والقهوة وخزانات الميـاه وبعض أنواع الأدوية التقليدية بالاضافة الى الحطب ومواقده بحيث اذا انتهت يطلبون المزيد منها بواسطة مراكب تبيعها متجولة في المغاصات أو عن طريق ارسال قارب الى أقرب ميناء لشراء ما يحتاجون اليه مـن الأطعمة والشـراب ، ثم استصدار التراخيص مـن محاكم الغـوص .

أما عن تمويل تجهيزات قارب الغوص عـن طريق رئيسها (النوخذه) في حالة توفر المال لديه وفي حالة عجزه ماليا يتم التمويل عن طريق تجار اللؤلؤ المحليين وذلك في مقابل ضمان التاجر شراءه

---

(١١) هناك مايسمى بالموسم الشتوى أو موسم الرده أو موسم البارد والذى يبدأ في شهر نوفمبر يعود فيه الى الغوص عدد قليل من مراكب الغوص على أمل حصولهم على المزيد من المحار والكسب ، أى أن دوره الانتاجى ضئيـل بالنسبة لانتاج الموسم الكبير .

لجميع لؤلؤ الموسم الذى تحضره المركبة أو أن ينال عشر اجمالى دخلها ، أما الحالة الثالثة وفيها يمتلك تاجر اللؤلؤ المركب ويمولها وهنا ينال ٢٠ ٪ من صافى مبيعات لؤلؤ المركبة أو أن يدفع جميع المصاريف ومرتبات للعاملين على المركبة مقابل أخذه لجميع لآلىء الموسم .

وعند بدء الموسم يخرج الغواصون وأقاربهم وتجار اللؤلؤ وأصحاب المراكب وعلى رأس هؤلاء كان يخرج بعض شيوخ الامارات لاعطاء اشارة النزول الى المراكب والابحار بعد أن تكون قد أخذت كل منها مرساها في الموانىء ، وبعدها تتجه المراكب الى المغاصات وتتم عملية النزول والابحار مصحوبة بالأغانى والأهازيج ودقات الطبول حتى تتوارى عن الأنظار ، وتستغرق الرحلة بين الشاطىء والمغاصات (٤٨ كم) نحو ثمانى ساعات أى فيما بين ساعات العصر حين يحل البراد وحتى ساعات الصباح الأول من اليوم التالى . وبعد الوصول تبدأ المراكب ومن عليها في الراحة حتى طلوع الشمس ومن بعدها يستعدون لأول عمليات الغوص في ساعات الضحى بتنظيم من الربان .

يبدأ الغواصون عملهم بارتداء ملابسهم الخاصه وأدوات الغوص وربط أنفسهم بحبال الغوص وهما حبلان أحدهما ينتهى بثقل للمساعد على سرعة الغوص والآخر يربطه حول نفسه لسهولة سحبه ويربط أحيانا في حبل الثقل سلة المحارات ، بينما يمسك السيب (الساحل) بالطرف الثانى (الأعلى) من الحبلين وهو على حافة سطح المركبة وعليه أن يسحب حبل الثقل حال رسو الغواص على القاع بينما يسحب حبل الغواص عند أى حركة من ذلك الحبل والدالة على رغبة الغواص في الخروج .

ويستمر الغوص حتى ساعات الظهر حيث يرتاح الغواصون والسيب بينما يعد الآخرون وجبة الغذاء المكونة من الأرز والسمك الطازج والتمور والقهوة والسجاير ، وفي العصر يبدأ نشاط المرحلة الثانية من الغوص وحتى مجىء ظلام الغروب تقريبا فتتوقف أعمال الغوص ليبدأ الاعداد لطعام العشاء وهو أيضا من الأرز والسمك وأحيانا من اللحمة المجففة والشاى والقهوة والسجاير وهى في العادة وجبة خفيفة ينام بعدها الغواصون والسيب بينما يقوم الشباب والرضيف بتنظيم وتجهيز المحار للفلية وتنظيف سطح القارب واعداد أدوات الغوص لليوم التالى كما يقوم بعضهم بصيد الأسماك من على ظهر المركب لوجبتى الافطار والغذاء لليوم التالي .

أما عن عدد المحارات في التبه الواحدة فتتراوح ما بين ١٠ ـ ١٢ محاره حسب مهارة الغواص وقوة جسمه وحرارة المياه ، وتتميز المحارات بلون داكن يسهل ملاحظته في قاع الخليج وبالتالى يسرع في التقاطها .

وفي الصباح التالى المبكر وباشراف النوخذه تبدأ عملية « الفليق » (الصورة رقم ـ٧ـ) بواسطة سكاكين صغيرة مقوسه ومسننه ويتم فيها فتح (فلق) عشرات المحارات التى التقطها الغواصون بعد أن تكون قد جفت ، ويشترك في عملية الفليق هذه جميع من على ظهر المركب بحيث لا يتركوا كبيرة أو صغيرة من حبات اللؤلؤ والتى يضعونها بين أصابع أرجلهم حتى تنتهى هذه العملية ثم يقوم الربان بجمعها منهم ويضعها في صور « ترابيع » من القماش ثم في صندوق خشبى محكم القفل بينما توضع الأصداف الكبيرة في أكياس أو صناديق بينما يلقى الصغير منها في الخليج لتخفيف الحمل من على المركب (١٢) وأثناء عملية الفليق يتم شرب الشاى والقهوة والسجاير كما يتناول الجميع طعام الافطار بعد انتهاء الفليق ، أما عن مصدر مياه شرب الغواصين واستعمالاتهم الأخرى فيوفرونها من مواقع الينابيع البحرية العذبة التى تنتشر في مواقع عديدة من رصيف اليابس العربى بعد انتهاء مياه خزانات المراكب .

أما عن عمل الطواويش فيبدأ بعد الغوص الأول حيث يحضرون على ظهور مراكبهم يتنقلون بين مراكب الغوص وقواربه ويتم اللقاء بينهم وبين ربابنة مراكب الغوص بحيث يشترون آلئهم أو يضمنون بيعها لهم بعد العودة الى اليابسه ، ويتم البيع بحضور شهود على الكمية واجمالى الثمن لضمان عدم الغش وللمحافظة على السمعة العالمية لهذا الانتاج العربى الهام =.

أما العودة من الموسم الكبير فتبدأ في النصف الثانى من شهر أكتوبر من نفس السنة حيث تستعد مراكب الغوص والعاملين عليها في الابحار نحو الأوطان بينما يستعد من على اليابس في هذه الامارات لاستقبال قوافل مراكب الغوص بنفس ما ودعوا به وعلى رأس هؤلاء شيوخ وأمراء هذه الامارات وأولياء عهدهم (نوابهم) .

---

(١٢) ارجع الى الاقتراحات في الخاتمة .

وتوزع صافى أموال هذا الموسم على الشكل التالـــــــى :

١ ــ يأتى نصيب النوخذه عـــلى راس انصبة العاملين في المركبة ويقدر نحو الربع (٢٥٪) وهو نصيب يعكس أهمية القبطان في المركبة ودوره الفعال في هذه الحرفة الاقتصادية .

٢ ــ ينال الغواصون نحو ثمن (١٢٪) من صافى المبيعات وهو النصيب الثانـى بعد حـــظ النوخذه .

٣ ــ ويأتى السيب فينال نصف ما يناله الغواص .

٤ ــ وتوزع على الشباب والرضيف هبـــــات محدودة بالاضافة الى كسبهم الفنـــى في مختلف أعمال الغوص خلال أشهر المواسم الأربعة .

الوضـــــع المعاصـــــر للغوص

بعد عرض مقومات وأسس هـــذا الانتاج الاقتصادى وأهم مظاهر العمل به ، نسلط الأضواء على أوضاعها الحالية ومنذ أوائل الأربعينات الماضية وما بقى لها من مشجعات وما تواجهه من سلبيات أدت بها الى حالتها المعاصرة ثم امكانية اعادة تجديد شبابها أو استحالة ذلك .

فبالنسبة لمشجعات تنشيطها فيتوفر عدد منها ترجع اما الى أصل طبيعى او بشرى ، والتى تتمثل في استمرار وجـود المغاصات في مواقعهـا السابقة وبنفس الغنى في محارتها التى تتوفر لهـا جميع متطلبات تكاثرها ولآلئها تنتظر الأيدى النشطة لاستغلالها ، كذلك تستمر أحوال الطقس والمناخ في معدلاتها التى كانت عليها في فترات الغوص النشطة ، بينما طرأ على مفهوم الموقع كمقوم طبيعى بعـــض التغيير جعله عامل مضاد للغـــوص بسبب زيادة كثافة النشاط الملاحى لناقلات النفط والســفن التجارية عبر مياه الغربية للخليج العربى والمربوط بالتطور الحضارى والتجارى والصناعى لهـــذه الامارات منذ اســتغلال نفطها وعائداتــه ، ونظرا لزيادة النشاط الملاحى الثقيل هنا أصبح من الخطر عـــلى مراكب الغـوص العمل الهادىء في مياه المغاصـــــات .

ويمكن وضع احتمال نضوب احتياطى مصائد نفط الامارات وخاصة في البحرين وقطر والكويت من المشجعات الطبيعية لاعادة تنشيط الغـوص كانتاج طبيعى متجدد مضمون اقتصاديا على المدى الطويل ويرد اعتبارها بعد اهمالها الطويل .

وبالنسبة لما يخص الانسان كمشجع لاعادة شباب الغوص اليه فقد تبين من دراسة هذه الناحية البشرية مـــن الغوص انها بجميع جوانبها عوامل مضادة لاعادة النشاط والحركة الى الغـــوص ، فسياسات حكومات هذه الامارات لاتعير الغيص انتباهها وبالتالى غياب عوامل الأسواق ورؤوس الأموال والأيدى العاملة عن التفكير بتنشيط الغوص من جديد ، وسيتضح ذلك من خلال بحث عوامل تدهورها .

أسبـــــاب تدهـــــور الغـــوص

تعود حالة الكساد والتدهور التى تعانى منها حرفة استخراج اللؤلؤ في هذه الامارات منذ بداية الأربعينات الى ما أخذت تواجه من الصعاب البشرية الأصل المضادة لها سواء من داخل هذا الاقليـــم العربى أو من خارجه أدت مجتمعه الى تجميدها وجعلها ضمن الذكريات الحضارية في حياة سكان الامارات العربية ، وأهم العوامل المضادة المعاصرة للغوص ما يلي :ــ

١ ــ السياســة الاقتصاديــة لحكومــات الامارات

يقصد بها اهمال هذه الحكومات لحرفة الغوص بعد أن كانت تهتم بها وتخطط لها ، ويتمثل هـــذا الاهمال في عدم توفير خدماتها المعهودة للغواصين على أراضيها وفي مياه المغاصات بالاضافة الى فتحها لأسواقها أمام الواردات من مصاغ البلاتين والذهب والفضة والأحجار الكريمة ، كما أنها لم تمانع في هجرة عمال الغوص الى أعمال النفط والتجارة ... وأوقفت الدعم المالى (القروض) للعاملين في الغيص وكذلك حدث لقوارب دوريات الشرطة والاسعاف التى كانت تتجول في مواقع المغاصـــات .

٢ ــ اضطـــراب أســـــواق الغوص .

لقد بدأت الأسواق الخارجية والرئيسيـــة لمنتجات اللؤلؤ في الثلاثينات بعدم اقبالها على شراء الكميات المعتادة من اللآلىء وبالأسعار المتعارف عليها وذلك على أثر حركة الكساد التجارية العالمية التى أعقبت انتهاء الحرب العالميـــة الأولى ونقصد بها الأسواق الأوربية الغربية والأمريكية الشمالية بينما حدث لأسواق الهند أسوأ مـن سابقتها حين سنة « حكومة عموم الهند » في ١٩٤٦ قانونا بمنع استيراد لآلىء الخليج العربى ضمن قائمة طويلة من الممنوعات كأجراء للحد من برجوازية مهراجاتها وأغنيائها ، بل لـقد أصاب أسواقها في الخليج العربـى ما أصاب الأسواق الأجنبية حين فتحت للواردات من مصاغ البلاتين والذهب والآلآت والأدوات الكهربائيـــة والسيارات وأدوات الزينة الصناعية المنافســـة لمبيعات اللآلى ، ولن ننسى دور اللآلى الأمريكية

واليابنية والصينية كمنافسة خطيرة ذلك لسهولة انتاجها ورخص ثمنها (١ / ٣ الثمن تقريبا) وجودة تجهيزها ، ذلك لأنها تنتج في مزارع خاصة بالمحارات تحت اشراف اخصائيين يعملون على سرعة كبر حجمها .

٣ ـ النظام المالى

لقد كان لغياب أى نظام تعاونى مالى كالمصارف والجمعيات تقدم السلف والقروض للعاملين من أموال عملهم بالرغم من تحذير معظم حكومات الامارات من التعامل بهذين النظامين وخاصة حكومتى الكويت والبحرين . وقد انعكس هذا النقص المالى على عدم اقبال الغواصين على حرفتهم هذه ليعملوا في حرف أكثر ربحا وطمأنينة .

٤ ـ ظهور أعمال وحرف جديدة منافسة

على أثر استمرار التقدم الحضارى وتطوير استغلال نفط معظم هذه الامارات نشأت حرف وأعمال عديدة أكثر ربحا وتشجيعا للأيدى العاملة ومنها العاملون في الغوص الذين اتجهوا للعمل بها تاركين أعمال الغوص بالتدريج للمتقدمين في العمر حتى أصبح من العسير على أصحاب مراكب الغوص الحصول على حاجاتهم من الغواصين ، كذلك ظهرت أعمال جديدة تحتاج الى مراكب الغوص بعد ان يركب لها المحركات الآلية مثل التجارة الهامشيه ونقل الركاب بين الامارات (الصورة رقم ـ ٨ ـ) والصخور البحرية مما أغرى أصحاب القوارب والمراكب للعمل بها تاركين الغوص بأعماله المحفوفة بالمخاطر واللامؤكدة من الأرباح خاصة في أيامه الأخيرة . وقد ساعد على فاعلية هذا العامل البشرى المضاد للغوص حرية التنقل والعمل لمواطنى هذه الامارات دون الحاجة الى تأشيرات دخول أو جوازات سفر أو رخص للعمل .

الخاتمة

تبين من بحث جوانب هذه الحرفة ما كان لها من شهرة ارتبطت بتاريخ هذا الاقليم العربى اكسبته موقعا واستراتيجية سياسية واقتصادية منذ فجر تاريخه واستمرت حتى أوائل الأربعينات حين ظهرت أعمال النفط والحرف المعتمدة عليه كمنافس خطير لا قدرة للغوص مع الحرف التقليدية الأخرى الوقوف أمامه ، والتى قامت بدورها بتوطيد الأطماع الاستعمارية البريطانية والأمريكية في المنطقة من الاستعمار البريطانى ومظاهره المختلفة الا في أوائل الثمانينات الحالية حين حصلت على استقلالها وظهر دورها جليا في السياسة والاقتصاد العربى والعالمى مما أعاد الامل للمجندين في تنويع مصادر اقتصادها الى التفكير فيإعادة الشباب الى حرفة الغوص وتنشيطها ضمن حركة تنشيط عدد من الحرف التقليدية ، وكان على هذه الدراسة المتواضعة أن تعرض فيما يلى لعدة مقترحات هادفة الى اعادة تجديد شباب الغيص والعاملين فيه :ـ

أولا :

احياء وتطوير الدور الايجابى لحكومات هذه الامارات نحو الغوص كمغاصات وغواصين وانتاج اقتصادى لا زالت له شهرته العالمية في الأسواق المحلية والأجنبية تشجع قيام مثل هذا الدور الرسمى وليكن هذا الدور على شكل انشاء جمعيات تعاونية تسليفية تقدم ما يحتاج اليه العاملون في الغوص والأعمال البحرية الأخرى من أموال وضمانات بدون فوائد وطويلة الأجل ، وادخال انتاج اللآلىء ضمن اتفاقياتها التجارية (قسم الصادرات) وتكوين مجالس للغوص من كبار وقدماء العاملين في الغوص مهمتها الاشراف على أعمال الغوص في مواسمه وخلى العلاقة بين العاملين فيه وبيع وشراء اللآلىء وتصنيعها وقيامها بالدعاية اللازمة لتسويقها في الأسواق المحلية والخارجية .

كذلك تقوم بتوفير زوارق الشرطة والاسعاف والمساهة المالية في مواسم الكساد ، ويؤيد نجاح هذا الاقتراح توفر أعمال عائدات النفط في خزائن هذه الحكومات .

ثانيا :

استخدام خبراء في تربية المحار والأصداف ذات اللؤلؤ وانشاء مزارع للمحار ووضعهم لخطط انمائية للمغاصات في طول وعرض رصيف اللؤلؤ في غرب مياه الخليج العربى ، ويمكن الحصول على هؤلاء من ذوى الخبرة من اليابانيين والصينيين (فرموزا) وسيرى لانكا .

ثالثا :

تنشيط وتشجيع ورش صناعة أدوات الغوص بعد أن أوقف العمل في انتاج معظمها ولم يبق الا القليل من ورش صناعة المراكب والقوارب مع امكانية استيراد آلات وأدوات الغوص اليابانية والاوربية الحديثة بشرط الاشراف على استخدامها وتنظيمه خوفا على نضوب صغار المحار من المغاصات الطبيعية هنا .

رابعا :

اعادة فرض الحماية الجمركية بمفهوم جديد على منتجات اللآلىء المحلية خوفا من منافسة اللآلىء

الصناعية المستوردة لها كذلك من منافسة مصاغ البلاتين والذهب والفضة وأدوات الزينة الحديثة لها ، ويساعد على تنفيذ هذا الاقتراح استكمال هذه الامارات لاستقلالها السياسي بل والاقتصادى ومساندة شقيقاتها العربيات لها .

خامسا :

انشاءمراسى بحرية خاصة بالنشاطات البحرية ومنها الغوص على شكل أرصفة ضمن الموانىء التجارية للامارات أو كمراسىمستقلة مجهزة بجميع حاجات الفيص والصيد البحرى ....

سادسا :

انشاء صناعات تقوم على استغلال أصداء المحارات الصغيرة والكبيرة كصناعة زرايز الملابس الجاهزة وأدوات الزينة والمصدفات بعد أن كانت تلقى في مياه الخليج أو يؤخذ الكبير منها لاستعماله كمتكات (طقاطيق) للسجاير .

سابعا :

تطوير أعمال تصنيع وتجهيز اللآلىء وهذا مربوط بتطوير صناعة مصاغ الذهب والفضة لكى تضاهى ورش تصنيع اللآلىء اليابانية والأمريكية . ويشجع هذا الاقتراح وجود ورش المصاغ بالعشرات في مدن وعواصم هذه الامارات وخاصة ورش الكويت والبحرين وقطر ودبى ثم أبو ظبى .

والخلاصة لهذه الخاتمة أن الغوص كحرفة وانتاج ومظهر اقتصادى كان حتى أوائل الأربعينات من أهم مجالات النشاط الحرفى والاقتصادى لسكان هذا الاقليم العربى بامارات العشرة حين كانت تتوفر مشجعاته الطبيعية والبشرية التقليدية ، أما فيما بعد ذلك التاريخ التقريبى بدأ الغوص كحرفة وانتاج يواجه العاملون فيه مظاهر التدهور بل والاندثار من قائمة حرف السكان ووسائل انتاجهم الاقتصادى ، وكانت معظم المظاهر المضادة هذه بشرية الأصل أى تعود الى انسان هذه الامارات وحكوماته مباشرة ، وبالرغم من هذه النهاية المحزنه للغيص والعاملين فيه فان الأمل لازال قائما لاعادة شبابه وتطويره اذا أخذنا في الاعتبار ما تبقى له من مشجعات طبيعية وبشرية وضرورة توفير ما ينقصه محليا أو من الخارج بالاستيراد المنتظم المضمون ثم بتنفيذ الاقتراحات الواردة وغيرها من التوصيات لتوفير الأمان الاقتصادى بل والسياسى لهذه الامارات التى يعتمد معظمها على عائدات النفط وهى طارئة المصدر مربوطة بالتناقض السريع لاحتياطى نفطهاالبرية واللامفيبيه (Lamefebian)

المصادر والمراجع

١ ـ حكومة البحرين ، (سنوات مختلفة) ، ملفات مجلس الغوص البحرين ـ دائرة المحاكم ، المنامة .

٢ ـ عمر رضا كحالة (١٩٤٤) ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، دمشق .

٣ ـ محمد متولي (١٩٧٠) ، حوض الخليج العربى ،القاهرة .

٤ ـ محمد صبحى عبد الحكيم وزملائه (١٩٦٦) ، الموارد الاقتصادية في الوطن العربى ، القاهرة.

٥ ـ محمد طه أبو العلا (١٩٦٢) ، جغرافية شبه جزيرة العرب (الجزء الأول) ، القاهرة .

٦ ـ محمود على داوود (١٩٦٠) ، أحاديث عن الخليج العربى « من مطبوعات معهد الدراسات والبحوث العربية » ، القاهرة .

٧ ـ نيقولا زيادة (١٩٦٢) ، الجغرافيا والرحلات عند العرب ، بيروت .

ثانيا : الافرنجية

1- BAHRAIN TRADING CENTRE of THE GULF of ARABIA, information paper (January 1961), England Addlessone.

2- BELGRVE, J.H.D. (1972) welcome to 1972, London.

3- BOWEN, R. and LEBAROW, L. R. (1952), "Marine industries of Bastern Arabia" Geog. Rev. Vol. XLI, pp. 364-400.

4- BULLARD, R. (1961-1962), The Middle East, London.

5- DICKSON, H.R.R. (1951), Arab of The Desert, London.

6- ———— (1956), Kuwait and HGr Neighbours, London.

7- BUROPA PUBLICATIONS LIMT. (1957 - 1974), The Middle East.

8- FISHER, W.B. (1963), The Middle Sast London.

9- GOVERNMENT of BAHRAIN, 1937, Administration Report for the year 1926 - 1936, Manama.

10- KICHER, R. and RENTZ, G. (1968), Aramco Handbook. Nether-lands.

11- MARLOWE, S. (1962), The Persian Gulf in the Twentieth Century, London.

12- MIDLEY, S. (1963), 'Two oil Sheikdoms' Geg, MA. Vol. 29, pp. 143-146.

13- Rihani, A. (1930), Around the coast of Arabia, London.

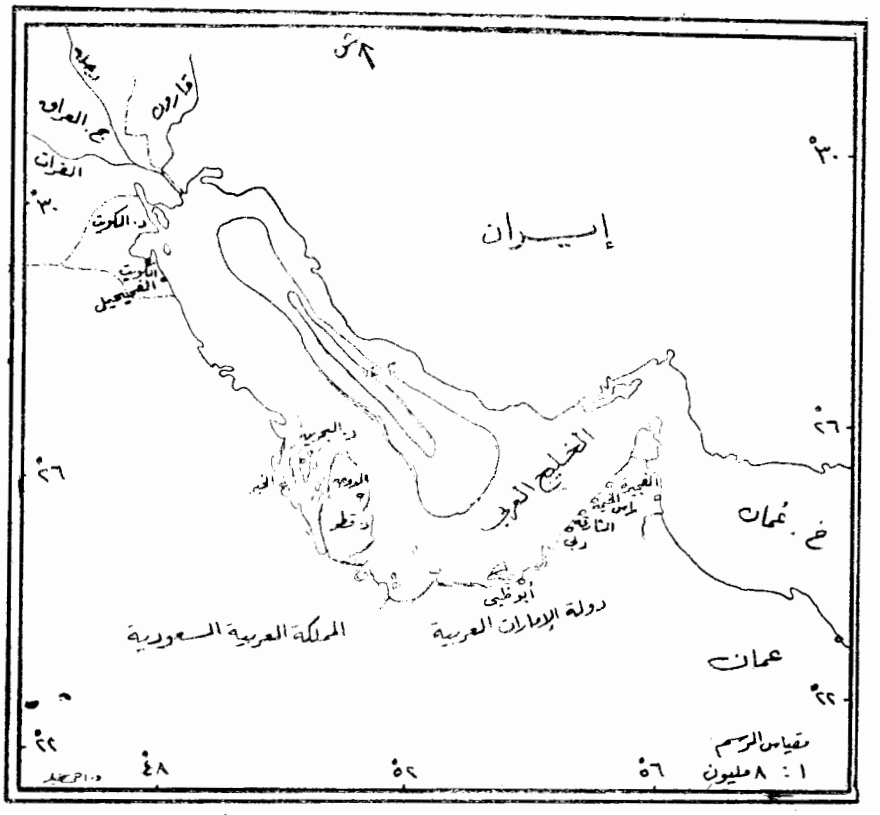

الشكل رقم - ١ - خطوط الأعماق ومراكز الغوص وصناعة وسائله وأدواته في أقطار الخليج العربي.

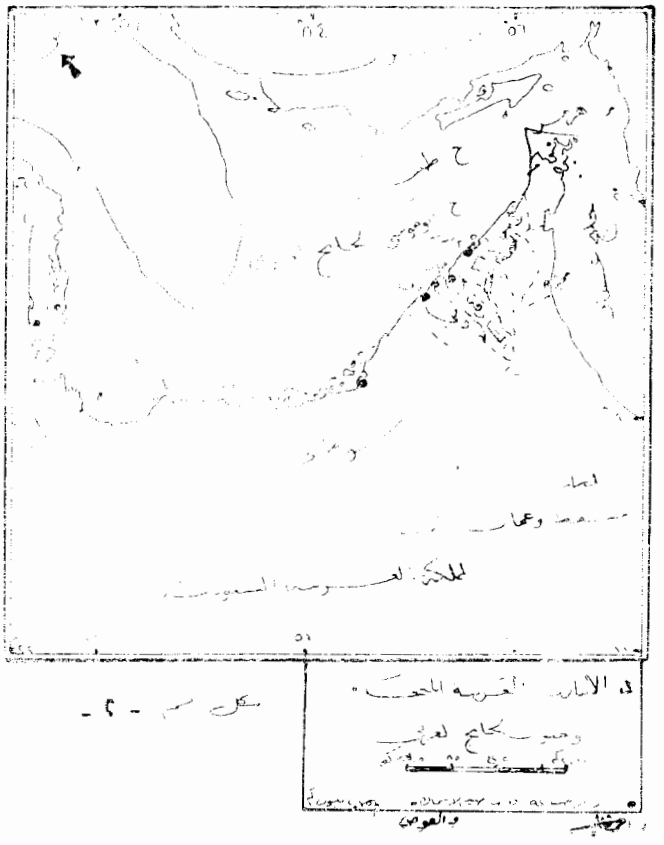

شكل رقم - ٢ -

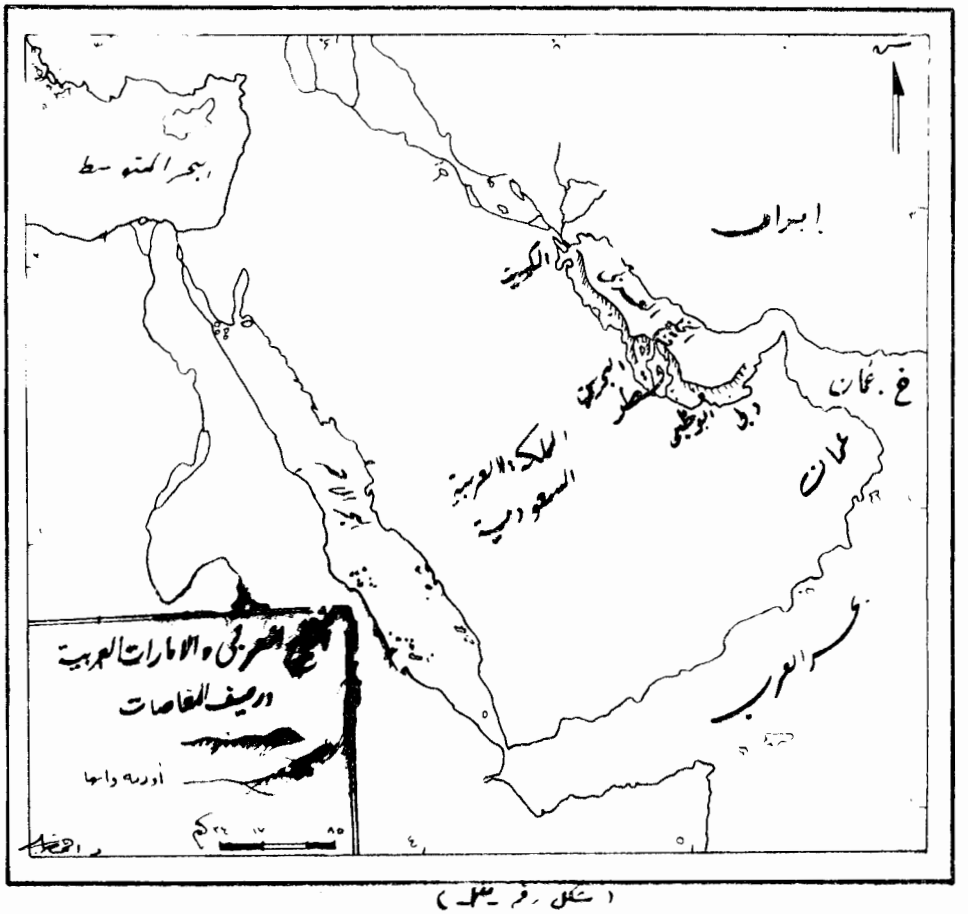

(شكل رقم -٣-)

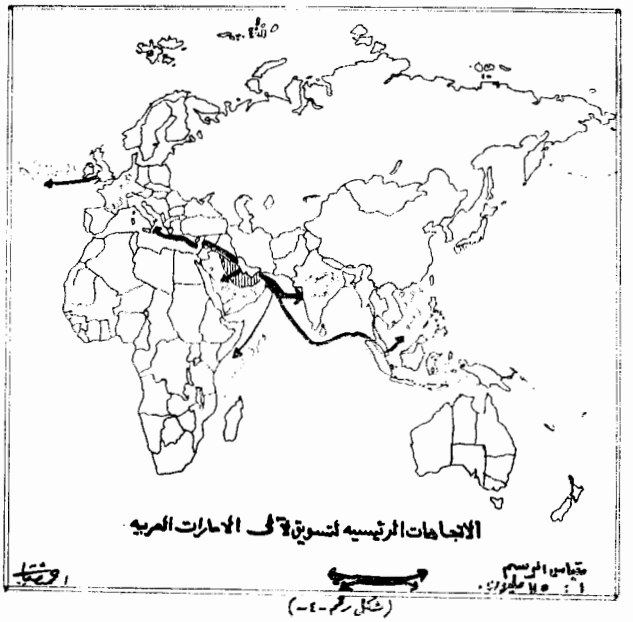

(شكل رقم -٤-)

الصورة رقم (١)

الصورة رقم -١- نزول وخروج العواصين من والى المغاصات

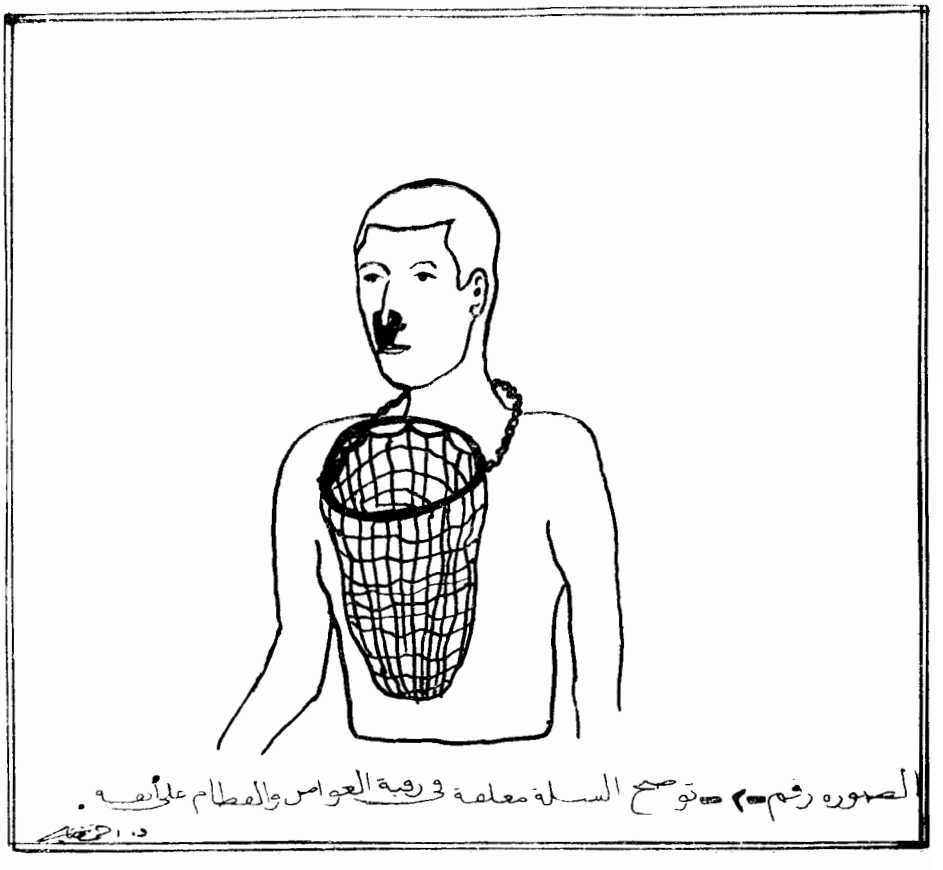

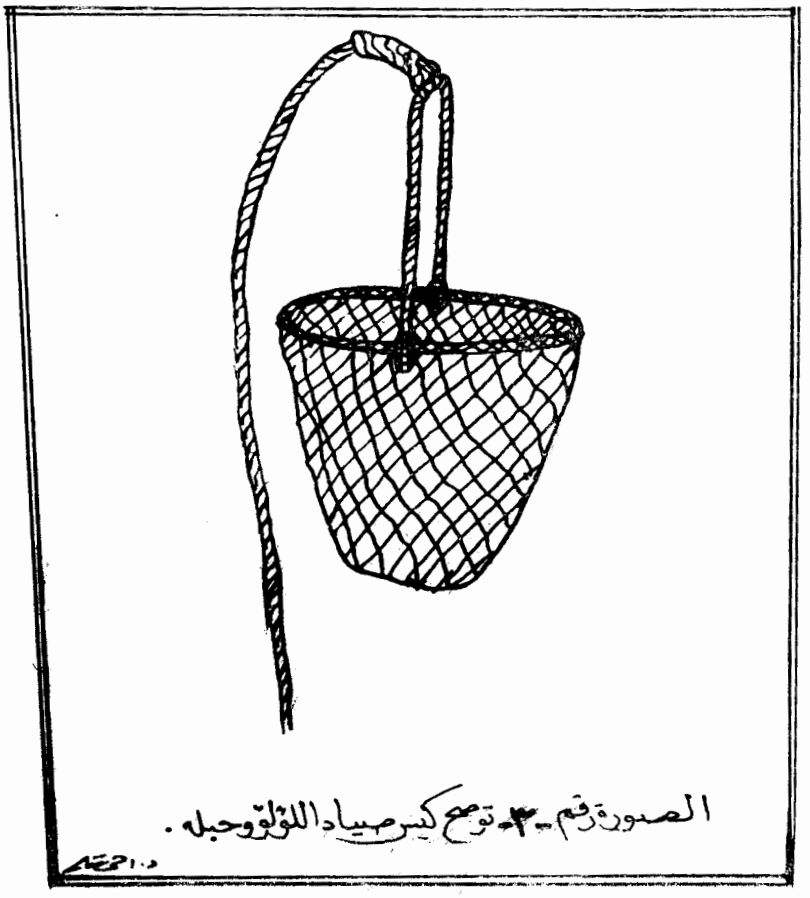

الصورة رقم ٣ توضح كيس صياد اللؤلؤ وحبله .

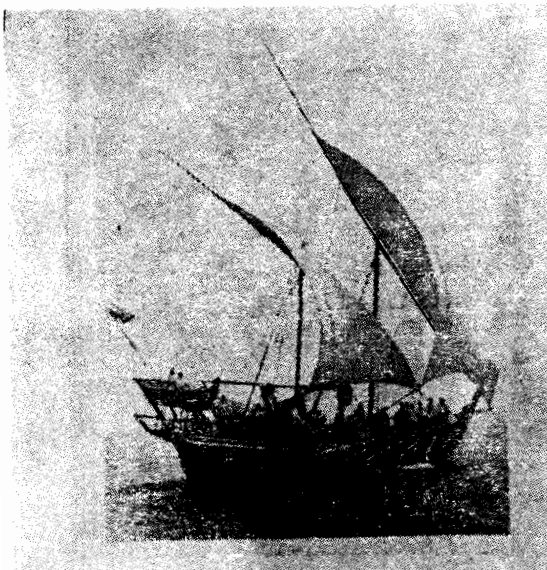

الصورة رقم ٥ مركبة غوص متجهة الى المغاصات

الصورة رقم ٤ صناعة مركبة غوص محليا

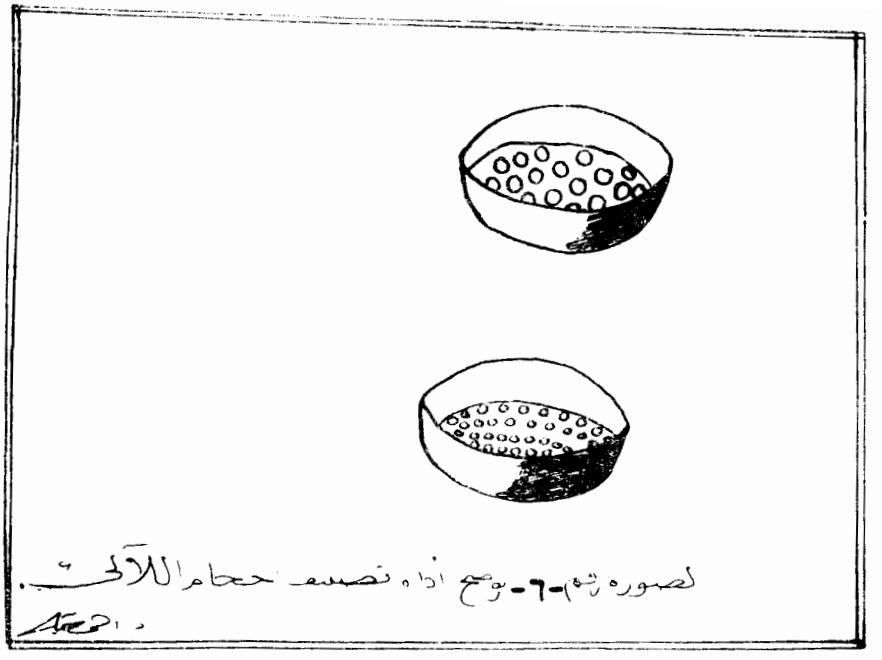

لصوره رقم -٦- يوضح أداه تصنيف حجام الآلئ.

الصورة رقم -٧- عملية فتح المحار "الفليق"

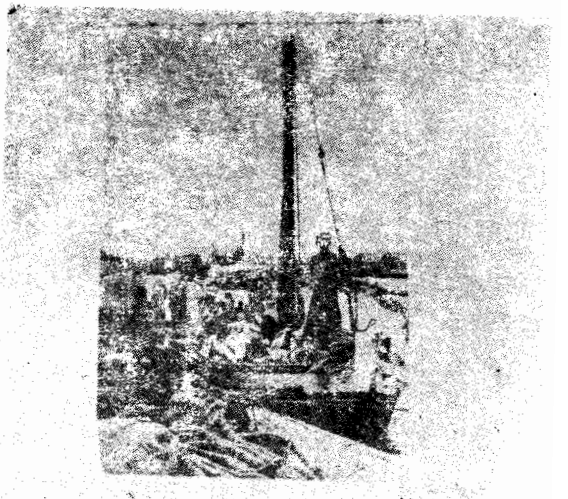

الصورة رقم -٨- قارب غوص يستخدم في النقل والنقل البحري

SUMMARY

Pearl Diving Industry in the Arab Gulf

By: Dr. Ahmad R. Thakela

The article discusses briefly almost all aspects of pearl driving trade with respect to Arab Amarits in the Arab Gulf.

There are several factors in favour of the development of pearl diving in this area. Under the natural factors, the suitability of the area to diving and being the best in the world, the geographic location and climate and the wealth. The article then gives an account of some human, economic and political factors which lead to the flourshing of peral diving in this area.

While mentioning natural human, eco- until recently, this trads to account for fournomic, and political factors which made, fifties of total income in this area.

The article then mentions four major reasons for the decay of this trade to become less than a marginal source of income.

In conclusion, the author listed some recommendations which might recover the trade while it is still possible.